دستوبيا السلطة ويوتوبيا الشعب في رواية -البركان - لحميد الحريزي

أ.م.د. هاوزين عبد الخالق غريب
قسم اللغة العربية/كلية التربية/جامعة جرمو-جمجمال
أ.م.د. إدريس كريم محمد
د. نوروز شوكت محمد
قسم اللغة العربية/كلية اللغات/جامعة السليمانية

The dystopia of power and the utopia of the people in the novel Volcano by Hamid Al-Harizi

Asst. Prof. Dr. Hawzheen Abdulkhaliq Ghareeb
Department of Arabic Language / College of Education / University of Jarmo-Jamal
Hawzheen.qareeb@chu.edu.iq
Asst. Prof. Dr. Idrees Karim muhammad
Idrees.muhammad@univsul.edu.iq
Asst. Prof. Dr. Nawroz shawkat muhammad
Nawroz.muhammad@univsul.edu.iq
Department of Arabic Language/ College of Languages/ University of Sulaymaniyah

الملخص

تعد رواية (البركان) للكاتب العراقي (حميد الحريزي) من الروايات التي تنتمي الى نوع (الرواية القصيرة) والتي نشرت عام ٢٠٢٤ اذ تعد من الروايات الحديثة جدا والتي تحاكي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق وخصوصا تلك الأحداث التي جرت في العراق أبان الانتفاضة التي قام بها الشباب عام ٢٠١٩ احتجاجا ضد السياسة القمعية والدستوبية التي كانت تمارسها السلطة ضد الشعب وما عرفت (بانتفاضة تشرين).

لم نجد عنوانا يناسب البحث بقدر عنواننا الذي اخترناه وهو (دستوبيا السلطة ويوتوبيا الشعب في رواية البركان) ذلك لأن مصطلح (دستوبيا) هو من المصطلحات المتناولة اليوم والتي نستطيع من خلالها تجسيد تلك السياسات التي تمارسها السلطة ضد الشعب ، اذ ورد في الرواية وجهان موجودان في مجتمع واحد أحدهما يمثل (السلطة-الدستوبيا) والاخر (الشعب-اليوتوبيا)وهذان الوجهان متنافران اشد النفور، فبين ما تفرضه السلطة وبين ما يريده المجتمع والفرد مسافات شاسعة ، وهكذا هو الحال بين الحلم والواقع ، بين المثالية واللامثالية، بين العدل والظلم ، بين الفروقات الطبقية والمساواة ، هذه المسافات الشاسعة والاختلافات في المطالب وبين ما موجود فعلا على أرض الواقع وبين ما يجب ان يكون عليه الحال كون عند الفرد قوة خارقة

للمطالبة بحقوقه المسلوبة والدفاع عن حقه الذي هدر دمه ، لذلك ارتأينا اختيار هذا العنوان لكي نستطيع من خلاله عرض الدستوبيا واليوتوبيا بوضوح .

الكلمات المفتاحية: دستوبيا، السلطة، يوتوبيا، البركان، حميد الحريزي

Abstract

The novel (The Volcano) by the Iraqi writer (Hamid Al-Harizi) is one of the novels that belongs to the genre of (short novel), which was published in 2024, as it is considered one of the very modern novels that simulate the political, social and economic conditions in Iraq, especially those events that took place in Iraq during the uprising by the youth in 2019 to protest against the repressive and dystopian policies practiced by the authority against the people, which was known as (the October uprising) .

We did not find a title that suits the research as much as our chosen title (Dystopia of Power and Utopia of the People in the novel Volcano) because the term 'dystopia' is one of the terms used today through which we can embody those policies practised by the authority against the people, as the novel mentions two faces that exist in one society, one representing (the authority-dystopia) and the other (the people-utopia), and the other (the people-utopia). Between what the authority imposes and what the society and the individual wants are vast distances, and so is the case between dream and reality, between idealism and non-idealism, between justice and injustice, between class differences and equality, these vast distances and differences in demands and between what actually exists on the ground and what should be the case as the individual has a supernatural power to claim his stolen rights and defend his right that his blood has been wasted, so we chose this title to be able to present dystopia and utopia clearly

Keywords: Dastopia, Power, Utopia, Volcano, Hamid Harizi.

المقدمة:

قسمنا البحث على فصلين يسبقهما تمهيد وتوطئة حول (الدستوبيا) وكتاب (اراء أهل المدينة الفاضلة) للفارابي و كتاب (يوتوبيا)لأحمد خالد توفيق باعتبار ان الكتاب الأول من الكتب التراثية التي تحدثت عن اليوتوبيا في ذلك الزمن عن طريق عرض الفارابي لاراء اهل المدينه الفاضلة وكيف يكون نظام الحكم والقيادة، أما الكتاب الثاني فهو من الكتب الحديثة التي تناولت اليوتوبيا بعرض الكاتب لدستوبيا المجتمعات، أي عرض الضد لتبيان الأصل.

عرضنا في التمهيد الرواية الدستوبية وسماتها وخصائصها وأسباب ظهورها ودورها في الأدب العربي اليوم مع بيان ملخص حول رواية البركان لحميد الحريزي.

اما الفصل الأول فقد خصصناه لدستوبيا السلطة في الرواية وقسمناه على ثلاثة جوانب، علرضنا في الجانب الأول انهيار الانسانية وفي الجانب الثاني عرضنا قمع ارادة الفرد وفي الجانب الثالث عرضنا الاستبداد الفكري.الفصل الثاني تمحور حول يوتوبيا الشعب في الرواية وقد قسمناه على ثلاثة محاور أيضـــا ، المحور الأول كان حول الصـــراع من أجل البقاء ،أما المحور الثاني فكان حول التمسك بمعايير الأمل ، أما المحور الثالث فكان حول الايمان بالغد المختلف .

خلال رحلتنا في كتابة البحث واجهتنا مشكلة وهي قلة المصـادر حول (الدسـتوبيا واليوتوبيا) مما جعلنا نبحث في المكتبات لكي نجد ضـالتنا ضـمن كتب أخرى اسـتندنا عليها مثل كتاب يوتوبيا لتوماس مور و كتاب يوتوبيا لأحمد خالد توفيق و كتاب نظام الخطاب لميشـــيل فوكو وكتب أخرى أيضـا ساعدتنا في رحلتنا ، املين أن نكون قد وفقنا في اضـافة لمسـة بسـيطة على الرواية العراقية والمجتمع العراقي اليوم ، معتذرين عن هفواتنا الواردة في البحث فجل جلاله الوحيد الذي لا يخطئ.

توطئة

١-ما هي اليوتوبيا/ هي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية (يوتوباس) والتي تعني –لا مكان أو – المكان غير الموجود ، وهي تحمل تشـــابها مع كلمة (يوتوبوس) والتي تعني –المكان الجديد ، جاء بها الكاتب والفيلسـوف الانجليزي (توماس مور) لأول مرة في كتابه الشـهير (يوتوبيا) والتي اســـتخدمها لأول مرة عام ١٥١٦ والذي كان يبحث في تصـــور عالم مثالي خال من العيوب والمشـاكل الاجتماعية يسوده العدل والمسـاواة بعيدا عن الاضـطهاد ، اذ ان لكل فرد حق في هذا المجتمع وعلى السلطة توفيره ، أصـبحت هذه الكلمة فيما بعد تشير الى المجتمعات المثالية التي لا وجود لها على أرض الواقع وأصـــبحت هذه الكلمة الهاما للأدباء والكتاب الباحثين في حلول للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمعات.(مور،١٩٧٨:ص١٢).

أما بالنسبة الى الأدب العربي فقد تناول الأدباء هذا المصطلح كما تناوله –توماس مور– مع بث خصـوصـية للمجتمعات العربية ، أذ بحثت هذه الكلمة في مشكلات العصـر والتي انحصـرت في سـلب الحقوق الفردية و حق ابداء الرأي وتقرير المصـير ومشـاكل اخرى نقدها الأدباء وصـوروها بطريقة ســـوداوية تعكس فشـــلهم في تحقيق أحلامهم ، ولم يكن التراث العربي بمعزل عن الفكرة التي جاء بها –توماس مور– بل كان لذلك جذور عربية ، وذلك واضـــح من خلال ما جاء به (الفارابي) في كتابه (اراء أهل المدينة الفاضـلة) حيث طرح تصـورا لفلسـفة اسـلامية تعتمد على

الفضيلة والعقل لتأسيس مجتمع مثالي ، وها هو (ابن خلدون) يركز الحفاظ على القيم الأخلاقية والعدالة لتأسيس مجتمع مثالي .

٢-حول كتاب (اراء أهل المدينة الفاضلة)/ يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المؤلفة في الفلسفة الاسلامية والتي ألفها (أبو نصر الفارابي) المعروف ب (المعلم الثاني) يعنى بمفهوم المجتمع المثالي أو المدينة الفاضلة حيث يعرض نظرته حول بناء مجتمع مثالي يسوده العدل والمساواة، يحاول الفارابي المقارنة بين المجتمعات المثالية التي يحكمها العقل وما يعاكسها من مجتمعات جاهلة وفاسقة ظالمة ويناقش في كتابه السمات التي يجب أن يتحلى بها القائد الحاكم في المجتمعات المثالية، اذ انه يختلف عن بقية الحكام باعتباره حاكما لمدينة فاضلة فعليه ان يكون فاضلا عادلا متسامحا في حكمه، وهو بهذا قد بين الاختلافات الواضحة بين المجتمعات المثالية وحكامها مع المجتمعات المغايرة والموجودة على أرض الواقع ، فهناك تصورات على صعوبة امكانية تواجد هذه المثالية واقعا لذلك تعتبر المقاييس التي جاءت في كتاب اراء اهل المدينة الفاضلة من الأهداف والآمال التي يطمح المجتمع وأفراده تواجدها لأنها بلا ادنى شك ستكون تحولا في حياة الأفراد .ويعتبر هذا الكتاب محاولة من المحاولات الأولية في دمج الفكر اليوناني المتمثل بـ(افلاطون وأرسطو) بالفكر الاسلامي ومحاولة الاستفادة منه(الفارابي،٢٠١٧:ص٧٣).

أثرت المفاهيم اليوتوبية التي وضعها الفارابي في وضع حجر الأساس للسرديات العربية التي تناولت فكرة العدالة والمجتمعات المثالية في التاريخ العربي الاسلامي، اذ يرى الفارابي ان السياسة العادلة يجب أن تعتمد على الأخلاق وهو أمر انعكس على دور الشخصيات في النتاجات العربية، اذ أصبح المحور الرئيس هو الأخلاق والفضيلة للوصول الى الهدف المنشود. (الفارابي،٢٠١٧: ص١٠٠).

أما بالنسبة الى تناول مصطلح (يوتوبيا) في العصر الحديث من لدن الأدباء والكتاب العرب فهناك روايات كثيرة تعكس فكرة اليوتوبيا في محاورها ومضمونها وكان لها تأثير كبير في بث الوعي الاجتماعي بين الأفراد، أهم هذه الروايات رواية (يوتوبيا) للكاتب المصري (أحمد خالد توفيق) والتي تناولت التفاوت الطبقي الكبير في مصر وحاول الكاتب من خلالها نقد المجتمعات والسياسات التي يسودها ظلم الفقراء وبطش الأغنياء، اذ انتقد من خلالها السلطة الحاكمة وحاول لفت انتباه الفرد الى ضرورة المطالبة بحقوقه.

٣-حول رواية (يوتوبيا) / تعتبر هذه الرواية من أهم الروايات العربية التي ألفها الكاتب المصري (أحمد خالد توفيق) عام ٢٠٠٨ والتي تناولت اليوتوبيا والمجتمعات المثالية لكن بأسلوب مغاير،

اذ تناول توفيق عكس المجتمعات المثالية وعرضها بأسلوب انتقادي وهو ما يدخل في موضوع (الدستوبيا) والذي يعني عكس اليوتوبيا ، أي معالجة المشكلات الاجتماعية والسياسية بأسلوب يعرض مساوئ المجتمعات الظالمة وما الت اليها نتيجة تلك السياسات ، وأهم عنصر تطرق الية الكاتب هو مشكلة التفاوت الطبقي اذ قسم المجتمع في روايته الى قسمين قسم يعيش برفاهية مفرطة وقسم يعيش خلف الاسوار وهم عامة الشعب من الفقراء، عرض أفكاره من خلال شخصياته، تناولت الرواية موضوع اليوتوبيا من وجهة نظر مختلفة، اذ سخر من المجتمع المثالي الذي يعيشه الأغنياء ذلك لأنه لم يصبح مثاليا الا على حساب الفقراء لذلك هو بعيد عن الانسانية لأنه بني اساسا على تهميش هذه الطبقة ، فهو تناول الدستوبيا في حق العيش بكرامة لكل البشر، لكن ذلك غير موجود على أرض الواقع فالفقراء دائما مسحوقين تحت اقدام الاغنياء.(توفيق،٢٠٢٢).

وقد ارتبط مصطلح (يوتوبيا) فيما بعد بظهور مصطلح اخر مخالف ومعاكس له وهو (دستوبيا) والذي يعني تسليط الضوء على المجتمعات التي يسودها الشر والحرمان وفقدان الارادة، اذ أصبح هذا المصطلح من المصطلحات الملفتة والجديرة بالدراسة والبحث.

تمهيد / حول الرواية الدستوبية

١- **الرواية الدستوبية** : هي نوع فني يحمل مزيجا من التجارب الذاتية والرؤى المستقبلية السوداوية، تشكل فيها الرواية عالما خاصا متكاملا، وتعكس واقعا مظلما، يتميز هذا النوع من الروايات بقدرته على استشراف المستقبل مقدما تحذيرا من التحديات والمخاطر التي قد تنشأ عن الواقع المعاش ، وتكمن أهمية الرواية الدستوبية في قدرتها على الجمع بين رؤية عميقة للواقع وصياغة فنية متقنة ،هذا المزيج يثري العمل الأدبي فيجعله وثيقة فكرية تحذيرية أدبية في ان واحد، وهي عكس (الرواية اليوتوبية) والتي تبحث في مجريات العالم المثالي كما أوردها توماس مور في كتبه اليوتوبيا (ينظر: مور،١٩٧٨ :ص١٣)"

هذا لأن المجتمع وما كان يمر بالوطن العربي والعراق قد فرض على الأدباء والمثقفين أن ينتبهوا الى ضرورة تغيير مسارهم والسعي وراء طريقة يتمسك فيها المتلقي بالنتاج الأدبي ذلك لأنه قريب الى حياته ، اذن قد تغيرت وجهة المثقفين ، فالمجتمع اليوم مختلف كليا عن المجتمع الذي كان يرضخ لكل ما يؤمر به ، اليوم لكل فرد حق وعليه استرداد حقه ، فهو يرفض هذا النوع من السلطات المعروفة بالقمع والظلم والاضطهاد والتي يصح تسميتها بالسلطات الدستوبية ، ويريد عالما مثاليا خاليا من المظالم السائدة في وطنه .

فاذا كانت المدينة الفاضلة (اليوتوبيا)هي الجنة،فان الواقع المرير (الدستوبيا)هو الجنة المفقودة.ويرسم فكر اليوتوبيا التاريخ كونه يؤدي الى الخلاص أو الى الفردوس على الارض،بينما فكر الديستوبيا يرى التاريخ كونه يؤدي الى عدم الخلاص والجحيم" (العشيري ،٢٠٢٠:ص٢٧٦)

٢-١السمات الأساسية للرواية الدستوبية ودورها في المجتمع

كان للرواية الدستوبية سمات جعلتها مميزة عن الروايات الأخرى اذ جمعت بين طياتها مجموعة من المفاهيم والابعاد التي دخلت في صميم حياة المجتمع اليوم من أهمها التحذير من المستقبل ، فهي تسلط الضوء على قضايا معاصرة وتضخمها تحذيرا من استمراريتها واستمرارية نتائجها السلبية ، وانها ايضا تساهم في خلق عالم متخيل لكنه مترابط ومتكامل يحمل في ثناياه أبعادا رمزية وفنية ، ومن الجدير بالذكر ان الرواية الدستوبية تجمع بين الفكرة والطرح الأدبي ، فبالرغم من طابعها التحذيري فهي تتميز بجماليات الصياغة الأدبية والاسلوب الفني ، فهي تركز على المتلقي وكيفية ايصال الفكرة وكيفية تقبل الفكرة من لدن الفرد ،"اذا كان للمعنى طابع صورة فان الذات لا يمكن أبدا أن تختفي مثلما يحدث في حالة المعرفة الاستدلالية ،فالصورة توقظ معنى غير مصوغ في الصفحات المطبوعة للنص وهي تمثل كنتيجة للتفاعل بين علامات النص وفعل الفهم لدى القارئ"(نقلا عن : ماجدولين: ،٢٠٠١:ص٥٦) فهي بذلك تساعد على دفع القارئ في التفكر والتأمل في قضايا عصره ، وتسلط الضوء على توعية الفرد باستبدادات السلطة ومظالمها وكيفية التصدي لها ، فهي تعبر عن طريق جوانب شخصية هموما جماعية تخص المجتمع بكامله فهي تحفز الفكر النقدي الناجم عن وعي ودراية بحقوق الفرد وواجباته تجاه الاخر والمجتمع.

٣-الدستوبيا في الرواية العربية العاصرة

هي رواية تمثل تيارا أدبيا متناميا في فترة ما بعد الحداثة، حيث تعكس الأعمال الأدبية في هذا المجال الواقع القمعي والسياسي والاجتماعي في العالم العربي١"الحكومة في المجتمعات الدستوبية هي أصل كل شر، وتحكم من خلال نظام فاشي مستبد، حيث تتحكم مجموعة من الناس في كل البشر عن طريق التكنلوجيا"(العشري،٢٠٢٠: ص٨)

٤-خصائص الدستوبيا في الأدب العربي ما بعد الحداثة

١-نقد الانظمة الاجتماعية والسياسية وكسر القواعد التقليدية

الروايات غالبا ما تظهر مجتمعات متدهورة تحكمها أنظمة قمعية مع تمرد على السرد الكلاسيكي، فتدمج الأزمنة وتعيد تشكيل الأماكن، أما أبطال الروايات، فأغلبهم يعانون من اضطراب نفسي وشعور بالضياع.

٢-اسلوب سردي فريد ورمزية عميقة

اللغة تحمل أبعادا رمزية كثيفة، وتدمج الشعرية مع السرد الواقعي مع التلاعب بالمعاني والذي يعكس روح ما بعد الحداثة في البحث عن الهوية والمعنى، أما الأحداث والشخصيات فهي تحمل رموزا متعددة يمكن تفسيرها بأكثر من طريقة، وترمز غالبا الى صدمة ما بعد الثورة ومخاوف المستقبل.

٥-سباب ظهور الروايات الدستوبية في الأدب العربي

كان للواقع السياسي المضطرب والأزمات الاجتماعية التي صاحبت المجتمع في الاونة الأخيرة والفجوة الكبيرة بين الطبقات وتحديات الفقر والبطالة والظروف القاسية التي عاشها الوطن العربي بصورة عامة والمجتمع العراقي بصورة خاصة من أهم الأسباب التي أسهمت في ظهور الروايات الدستوبية، اضافة الى توسع الأدب ليشمل أدب الخيال العلمي الذي ذهب الى ما وراء الواقع وصولا الى أقصى درجات الخيال ولكن ليس خيالا لا فائدة منه، بل هو خيال خلاب علمي ،ى يستطيع الانسان عن طريقه الوصول الى ما لم يصل اليه الأدب قبل ذلك "الدستوبيا تعني قصة تخييليه تصف مجتمعا خياليا منظما بطريقة تمنع أفراده من بلوغ السعادة" (صبحي البستاني،٢٠٢١:ص٥)

٦-ملخص رواية البركان للكاتب العراقي (حميد الحريزي)

صدرت الرواية عام ٢٠٢٤ وتدور أحداثها في أجواء (انتفاضة تشرين)،حيث يسلط الحريزي الضوء على التظاهرات والاحتجاجات التي شهدتها الساحة العراقية ،خاصة في (النجف الأشرف)،تصور الرواية التضحيات التي قدمها الشاب العراقي في مواجهة القمع والظلم وتبرز دورهم في المطالبة بالحقوق والعدالة ،وهذه الرواية تعد تصويرا سرديا مكثفا لدستوبيا السلطة في المجتمعات المعاصرة ،حيث تتحول الدولة الى قوة متسلطة تمعن في اخضاع شعبها ،وتخلق واقعا خانقا يمهد لانفجار جماعي ، يرسم الكاتب صورة لعلاقة مضطربة بين السلطة والمجتمع مليئة بالتوتر والقمع والتمرد ، أما شخصيات الرواية فتنوعت بين الشباب المنتفض والشباب المضحي والشباب الحالم والذين كانوا يدافعون عن حقوقهم. ينظر (الحريزي،٢٠٢٤)

المبحث الأول /ستوبيا السلطة في الرواية

دستوبيا السلطة والتي يمكن أن نسميها تلك السلطة المتمثلة بكل محاولات الترهيب والقمع وفرض السيطرة علة حقوق الأفراد ،ومنعهم من المطالبة بأبسط حقوقهم والتي تتمثل في توفير حياة سلمية كريمة، هذا النوع من التسلط المبني على انتهاك حقوق الغير ومصادرة حق الفكر وابداء الرأي ، وكانت المجتمعات العربية من النماذج الحية والتي تصور السلطة الدستوبية بحذافيرها، وهنا يمكن القول بأن تطور العصر وتبدل المصالح السياسية بين الشعوب، ومنح الصلاحية الكاملة للرئيس(القائد) دون الالتفات الى جانب مهم وهو (الجانب الانساني)واغفال عامل (صحة الاختيار) لمن سيكون الرئيس ومن سيكون حوله..كل هذا أدى الى توسيع رقعة الدكتاتورية مما أدى الى انتهاك حقوق الغبر وتوليد كم هائل من الغضب العارم الذي اعترى جسد الشعب وجعله كبركان ينتظر ساعة انفجاره ،مما أدى الى التفات الكتاب والمثقفين الى ضرورة محاكاة نتاجاتهم لذلك الواقع المرير الذي يعاني منه الشعب .

ظهرت مجموعة من الروايات تجسد الواقع المرير للعراق وتحاول تأجيج نار الثورة واشعال لهيبها في كيان الشاب العربي بصورة عامة والعراقي بصورة خاصة بعدما تملكه الخوف وساده القلق ازاء ما سيحصل له لو حاول بطريقة أو بأخرى المطالبة بحقه في العلن ، فكان هاجس المثقفين تسليط الضوء على الكوارث الانسانية التي سيؤول اليها المجتمع جراء السياسات الاحتكارية والقمعية التي تمارسها السلطة أزاء الشعب، وكان الكاتب العراقي (حميد الحريزي) خير مثال على ذلك، فهو يسلط الضوء في روايته (البركان)على مجريات العراق والشارع العراقي من خلال ثورة تشرين والتي انتفض من خلالها الشباب العراقي مطالبا بحقوقه بكل جرأة وشجاعة،" ان وعي أفراد المجتمع بواقعهم الاجتماعي ، فضلا عن وعيهم بحقيقة القوى التي تسيطر على هذا الواقع، هو النقطة التي تبدأ عندها ارادتهم الجمعية في تنظيمك كيفية مواجهة مصادر خداع القوة في المجتمع المعاصر " (عبدالله ، ٢٠٠٥: ص٥٠)

واستطاع (الحريزي) أن يعرض صورة هؤلاء الشباب بصورة واضحة في روايته التي نستطيع اعتبارها واحدة من الروايات العراقية بجدارة ،فقد تميزت باحتواءها على تلك الأحداث وتلك المعاناة التي كان يعيشها العراق في تلك الحقبة، فحملت الرواية بين طياتها ذلك التناقض بين الواقع الدستوبي وارادة الشعب اليوتوبي ، ذلك الواقع المتمثل في سياسات القمع والترهيب ومحاولة الفرد عيش حياة كريمة ،التناقض الذي كان واضحا في ان واحد ولد حالة من التمرد لدى الشعب وخصوصا فئة الشباب الواعي الذي اصبح متأكدا بضرورة تغيير ذلك النظام السائد واعادة

الحريات ومنع استلابها ، ذلك التمرد ولد الانفجار الذي تمثل في انتفاضة تشرين ٢٠١٩ التي تعتبر بحق انتفاضة الشباب العراقي الواعي.

تمثلت دستوبيا السلطة في مجموعة من الجوانب نستطيع اجمالها بما يلي؟

١-انهيار الانسانية / عرفت السلطة الدستوبية بتشويهها للحقائق وتدنيسها للمقدسات التي يؤمن بها الشعب املة أن يكف الأفراد عن التمسك بالقيم والمباديء التي تعودوا على احترامها ، وهذا ما فعلته السلطة القمعية في العراق ، فكانت تسعى الى تحويل الفرد العراقي من انسان ايجابي الى انسان سلبي ، وذلك من خلال القبول والخضوع لكل المظالم التي تلحقها به حتى دون ابداء رأي مخالف ، فكان أهم أنهيار عاشه المجتمع هو انهيار القيم والمبادئ وضياعها وسط الغابة التي اسستها السلطات القمعية " ان يتحول الانسان الى سلعة تطرح للبيع في سوق الحياة او بمعنى اصح ان يصبح الانسان شيئاً من الاشياء يفقد الانسان فيه ومن خلاله ذاته ووجوده الشرعي الاصيل "(الفيومي ، ١٩٩٨م :ص٧)

فكان العراقي وبعد كل الشهامة التي كان معروفا بها وبعد كل الغيرة العربية التي كانت محل فخر له أصبح انسانا يرى الظلم بعينه ويسكت ، يرى انتهاك حقوقه وحقوق أهل بيته ويصمت ، يرى كيف يهان أخيه وجاره دون أن ينطق كلمة واحدة ، وكيف ينطق وهو يعلم أن كلامه سيعجل أجله وسيكون اخر يوم في حياته ، لذلك كان قد وضع مبادئه جانبا لأنه علم أنها (ما توكل خبز) كما يقول العراقيين ، وقد صور الحريزي هذا الجانب بدقة تامة .فها هو مون يستهزئ بانتفاضة الشباب ويتذمر من موقفهم لأنه أثر على وتيرة حياته – تلك الحياة المستقرة التي لا تشوبها شائبة– نعم مستقرة ولا تشوبها شائبة –جمن وجهة نظر الفرد الذي سعت الى تكوينه السلطة الدستوبية – فقد عملت بجهد على تحويل هذا الفرد الى انسان الي (روبوت) ولا يعي ما يحصل حوله، يحاول الحصول على قوت يومه بسلام ولا يريد أكثر من يذلك، دون الاقتراب ولو بخطوة واحدة نحو السلطة ومن حولها ،دون السؤال حتى ،لأن ذلك سيولد له (وجع راس) كما يقال في اللهجة العراقية ، أي أن الاقتراب من السلطة سيأتي اليه بالمشاكل التي هو بغنا عنها ،وهذا كان واضحا في الرواية عندما تذمر سائق التاكسي الذي استأجره بطل الرواية لكي يوصله الى أقرب نقطة من ساحة الاعتصام جراء غلق الطرق وتوقف الحياة نوعا ما أثناء الانتفاضة "بروح أبوك استاد يعجبك هذا الحال ؟ غلق الطرق والدخان وتوقف العمل مما أثر على رزقنا وصحتنا وعطل أعمال الكثير من الناس " (الحريزي ،٢٠٢٤: ص٢٦)

وهذا أكبر دليل على ان (الانسان السلبي) قد تكون نتيجة اضطهاد السلطة وقمعها لآرائه ومعتقداته ،فقد تنازل عن حرية ابداء رأيه وتنازل عن حقوق أباءه في وطنهم وتنازل حتى عن المطالبة بتلك الحقوق ،وأكبر مثال على ذلك الكلمة العراقية الشهيرة التي وردت في الرواية والتي هي (شعلينه) بمعنى –لا يخصنا الأمر– وهذا كان على لسان سائق التاكسي الذي تذمر على من يقومون بالتظاهر من الشباب وكانت الكلمة ردا على بطل الرواية عندما نبهه الى الأوضاع السيئة في العراق وانه عليه مساندة هؤلاء الشباب وليس التذمر منهم فكانت اجابته (اي صحيح لكن احنة شعلينه، خل يشوفون غير هذا المكان ويتظاهرون ويعتصمون ويجفونه الشر) (الحريزي،ص٢٦) وكأن هؤلاء الشباب من غير جنسية ومن غير وطن –وهو كذلك نوعا ما –ج فالوطن الذي ينتمي اليه الشباب غير ذلك الوطن الذي ينتمي اليه السائق ، فالذي يقصده الشباب المنتفضين هو (الوطن اليوتوبي) أما ما ينتمي اليه السائق فهو (وطن دستوبي)، فالشباب يحلمون بكل ما هو مثالي في ذلك الوطن ، يحلمون بالاستقرار وضرورة توفير الحياة الكريمة بعيدا عن المضايقات والتداخلات الحزبية والرشاوي والاحتكارات وتدمير حياة المنتفضين والمناضلين ومزن يبدون رأيهم ويحترمون الرأي الاخر ، وهذا لم يكن موجودا في العراق ،على العكس تماما ، فهدف السلطة كان واضحا وهو تشويه سمعة كل من يطالب بحقه، وخير دليل على ذلك ، الشباب المنتفضين في ساحات الاعتصام فقد قامت السلطات بلصق ابشع التهم وابشع الصفات بهم مثل انه كان يتم تعاطي المخدرات تحت الخيم ووجود المشروبات الكحولية وتهم أخلاقية غير لائقة ، وقد عرض الحريزي تلك التهم بشكل واضح في الر واية "بعد دخولنا الى الساحة ، بدعوى وجود المشروبات الكحولية ومن اسموهم بأبناء السفارات داخل الساحة، وحصول ممارسات غير اخلاقية في بعض الخيم ، مما جعلنا نصل الى درجة الهيستيريا في الهجوم على الساحة ...لكنني وبعد لقائي بالمثقفين لم نعثر على اي أثر للمشروبات الكحولية أو أي أثر للموبقات كما أخبرونا" (الحريزي ،ص٣٠) وكان ذلك بإخبارية من قبل السلطة الدستوبية التي من شأنها احلال الدستوبيا محل اليوتوبيا وتكوين مجتمع تسوده القيم المخالفة للدين والعقائد والقوانين.

٢–قمع ارادة الفرد/من أهم أسلحة السلطة والحكومة الدستوبية هي التحكم بالأفراد وبقواهم لكي لا يمكنهم الحراك بعيدا عن ارادة القيادات القمعية ، وكان سلاحهم الفتاك في ذلك هو (الترهيب) للحصول على نتيجة مفادها خلق فر د لا روح فيه لا صوت ، لا حياة ، ذلك لأنها كانت على يقين بأن هذا الفر د ان أبدى رأيه ستكون نتيجته القضاء على هذه السلطات نهائيا ،لذلك كرست

السلطات كل طاقاتها لذلك التحول الكبير في دواخل الأفراد ، فليس هناك عنصر من شأنه تغيير وجات النظر أكثر من عنصر (الترهيب)،ذلك لأن الانسان ملتزم بعائلة ينتمي اليها ، وكل همه المحافظة على هذه العائلة ، وكيف يستطيع ذلك وقد وضعت السلطة القمعية مخالبها على أعناق الشعب وكل فرد فيه "في المجتمع وعند كل فرد يجب ان يكون الحكم للعقل ، بشرط أن يكون مقرونا بالعدالة"(المنياوي ،٢٠١٠:ص١٩)

واستطاع الكاتب أن يصور ذلك التحول في الشخصيات نتيجة لسياسات الاستلاب والترهيب وتحريف الحقائق وتفسيرها حسب رواياتهم الشخصية ، وقد تبين ذلك في الرواية عن طريق الشخصيات وخصوصا شخصية الشاب الجامعي (مهند البقيسي) الذي أصيب بطلق ناري أودى بحياته فقط لأنه خرج من بيته يستعلم أوضاع الشباب في الساحة بعد سماعه خبر اقتحام الساحة من قبل الميليشيات "كانت جثة الشاب الجامعي (مهند القيسي) ممددة في الخيمة ،هذا الشاب الذي هرع من بيته صوب الساحة فور سماعه بخبر اقتحام الساحة من قبل الميليشيا ، أتى مهرولا ليستعلم أخبار وحال العديد من زملائه وأصدقائه هناك فكان نصيبه رصاصة أدت الى مصرعه وهو الوحيد لعائلته ثكلت فيه أمه" (الحريزي :ص٢٧)

من خلال هذا نستطيع اعتبار الشاب مهند نموذجا (للشعب اليوتوبي) المليء بالحب والمتحلي بالمبادئ السامية والمستعد دوما للتضحية بحياتهن لأجل مبادئه الراسخة، هذا ولا ننسى ما ذكرناه أعلاه، بأن السلطات القمعية وأثناء محاولاتها في تحويل الشخصية العراقية من شخصية ايجابية الى شخصية سلبية، تجد هذه السلطة نفسها أمام نوعين من الأفراد، نوع مثل الذي قال (شعلينه) والذي نجحت السلطة في تحويله، ونوع مثل (مهند) الذي مهما حولت السلطة تغييره لن يتغير حتى وان كان الثمن حياته. مثال اخر حول سياسات قمع الأفراد والحرص على تعميم الصفات الدستوبية وسط أفراد الشعب شخصية (زيوني) في الرواية ، ذلك الشاب الذي كان يتابع المتظاهرين ويساعدهم ويرى بعينيه سقوطهم شهداء في ساحات الاعتصام ، فها هو يبكي ويلطم ويصيح دون حيلة بيده لمساعدتهم "صادفت شابا يافعا جميل الطلعة، ...وقد كان ينتحب بلوعة الأم أو الأب أو الأخ الفاقد لعزيزه صائحا: أنهم يقتلون اخوتي...كان يتابع الشهداء ويلطم ويبكي بحرقة ...يا عم لقد قتلوا صديقي وأقرب الناس الى روحي ، فكيف لي أن أستكين ، انهم جميعا أخوتي ...يقتلونهم بلا ذنب سوى انهم يحلمون بوطن امن يوفر لهم الحرية والعيش الكريم ، أنهم يقتلون أحلامنا يا عم " (الحريزي:ص٢٩)

٣-**الاستبداد الفكري**/ من أبشع أنواع التعذيب النفسي الذي من الممكن أن يتعرض له المثقف، هو ان لا يكون حرا في أفكاره ، أن لا يكون طليقا في التعبير عن خواطره ووجهات نظره للظروف التي تحيطه ، فكانت أهم أهداف السلطات القمعية السيطرة على أفكار هؤلاء الشباب الواعين الذين تنبهوا الى ضرورة اسقاط النظام وضرورة احلال العدل والمساواة ، فعبر المثقف عن ذلك بقلمه وحاول نشر هذا الوعي بين أفراد المجتمع لذلك ظهرت روايات ودراسات متعددة تحاكي ذلك الوضع وتضم بين سطورها كل معايير الشجاعة والثقافة ، الا ان السلطة الدستوبية التي من شأنها اخماد لهيب الحرية والتعبير عن الرأي

فسلوك الشرائح الاجتماعية مدفوع بمفاهيم وأفكار وقناعات متجسمة في الجسم الاجتماعي ككل، وحركة المجتمع هي حركة ايدولوجيته أو ايدولوجياته المتصارعة، وصراع الايدولوجيات نابع من افتراق حول مفهوم الحقيقة، والحقيقة حاجة ضرورية لكل ايدولوجيا، ان حاجة المثقف الى الحقيقة هي حاجته الى سلطتها كي يكون مبررا لديه الدخول في صراعات سجالية مع الاخر لإدانة مظاهر السلطة لديه. (ينظر :فوكو ،١٩٨٤:ص٧١-٨١-٨٢)

ليس من صالح السلطة الاستبدادية أن يكون للفرد رأي مغاير وليس من مصلحتها سيادة الحق و توسيع رقعة حرية الفكر من شأنها الايقاع بتلك السلطات، لذلك سعت دائما الى تدنيس المؤلفات التي تدعو الى النهوض بالمجتمع ورفض المظالم التي تلحق به ، وبالتالي كان التعرض لمؤلفي مثل تلك الروايات والكتب والمؤلفات بالحاق الأذى بهم وبعوائله كان من شيم السلطات الدستوبية بحجة ان تلك المؤلفات تخالف القوانين السائدة في الدولة ، مع ذلك كانت المحاولات جادة من لدن المثقفين وكان الشباب يواصلون مسيرتهم في المطالبة بحقوقهم ، فقد ظلوا رغم كل التعرضات صامدين تحت خيم ساحات الاعتصام مطالبين بذلك المجتمع اليوتوبي الذي يحلمون به والذي كان يشمل مطالبا بسيطة جدا متمثلة بضرورة توفير الكهرباء والماء والأمور الروتينية الحياتية باعتبارها من ضروريات الحياة ، فهل اقتصرت (الحياة اليوتوبية) للعراقيين حول ضمان الماء والكهرباء لهم؟ واستمرت ساحات الاعتصام بضرورة مواصلة الرحلة وكان اخوانهم من أفراد الشعب يساعدونهم في توفير المستلزمات اليومية ، وحتى توفير الصحف والمجلات والكتب للاستفادة منها، ولأن الشباب كانوا واعين وكانوا يعون ضرورة اشباع عقولهم بالكتب لا مجال يسمح لهم بذلك، لكن السلطة القمعية كانت تخشى ذلك وأصرت على مكافحة ذلك الفكر وكأنه شيء يمكنهم الوصول اليه ، فاستطاع الحريزي في الرواية أن يبين ذلك بأسلوب رشيق عندا صور لنا الرصاصة التي اخترقت الرواية وزينتها بقطرات من دم الشباب المضحين بأنفسهم في

سبيل الوطن "نعم ياعم ، ان هذا الثقب الذي اخترق صدر الثلاثية انما هو بسبب اطلاقة نارية وجهها أحدهم الى الرواية أثناء مهاجمة ساحة الاعتصام والتظاهر ، وقطرات الدم انما هي نزف من جرح أحد الشباب المنتفضين الذي حاول التقاط الرواية قبل أن تلتهما النيران التي اشعلوها في مكتبة الرصيف "الحريزي: ص١٧)

بذلك الفكر وتلك الروح يمكننا أن نفسر الرواية المزينة بالدماء كرمز للفكر وابداء الرأي ، ورغم أن الرصاص استطاع أن يثقبها من الغلاف الى الغلاف الا أنه لم يستطع حرقها ، فسطورها كفيلة بشرح حال شعبها ، وكذلك الشباب وأفكارهم ومعتقداتهم ، فليس بامكان الرصاص اختراق عقولهم وحالتهم عن طريقهم في المطالبة بالعيش الكريم "يشير البناء الاجتماعي الى مجموعة من العلاقات الاجتماعية المتفاعلة التي تتسم بالتباين والتكامل في ان واحد ، وهذا يعني ان عناصر البناء تتباين من حيث أدوار الاجزاء الداخلية في النسق ،لكنها تتكامل من حيث الاعتماد المتبادل ، فكل عضو يقوم بدور داخل البناء ، وجموع الأدوار تتحد في تشكيل الكل الاجتماعي "(حجازي،١٩٩٨:ص١٠٧)

استطاع الحريزي أن يصور السلطة الدستوبية من خلال وصف الشكل الخارجي لممارسين القمع والارهاب فاكتسبت الشخصية الدستوبية المتمثلة بالسلطة بملامح بشعة تجعل القاريء ينبذها ويشمئز منها وذلك لايصال الصورة متكاملة الى المتلقي وتوضيح أن السلطة الدستوبية لا يمارسها الا شخص بملامح دستوبية بعيدة عن معايير الجمال والقبول من لدن (الاخر) فلا يستطيع المتلقي التعاطف مع هذا النوع مون الشخصيات –وهذا هو المطلوب– فها هو الحريزي يصف بعض أعضاء الميليشيات وما كانوا يفعلونه بالصبية والشباب المنتفضين والذين كان يلقى القبض عليهم لأنهم كانوا يبحثون فقط عن الحياة "فتح أحدهم الباب وجلس أمامي. أشعل سيجارته وصار ينفخ الدخان في وجهي كاشرا عن أسنانه ذات الصفرة المشمئزة. كنت لأول مرة أرى وجه أحدهم فهم ملثمون في أغلب الأحيان ، كان وجهه قبيحا ولم أر أقبح منه في حياتي على الاطلاق ، شعره أشعث وذقنه مغبر وعيناه محمرتان ، كان قذرا بكل ما تحمله هذه اللفظة من معنى ،داس على عقب سيجارته بعد أن انتهى منها بحذائه وقال : شنو ما وصلني السرة فضوها؟–فقلت له:شجاي تسوون بالولد؟ فأجاب:–جاي نتونس .تريد نتونس بيك؟ (الحريزي:٣٧).

المبحث الثاني / يوتوبيا الشعب

على الرغم من النهاية التي الت اليها ثورة تشـــرين الا ان هناك الكثير من المنجزات التي حققتها في أذهان العراقيين ، فالإصرار الذي كان واضحا على شباب ساحات الاعتصام للحصول على مطالبهم كان واضـــحا ، ولم يكن للقمع والضـــغط الذي مارســـته الســـلطة كافيا لقمع ذلك اللهيب الموجود في نفوســـهم ، نعم كان كافيا لتخريب الخيم وحرقها واخراجهم من ســـاحات الاعتصـــام واخلاءها تماما من المتظاهرين الا ان هناك انجازات وبطولات لن تمحى من ذاكرة الشـــعب العراقي الواعي الذي استمد وعيه من تلك المظالم التي الحقتها السلطات الدستوبية به، فاختار أن يعي ما يجري حوله محاولا لملمة ما تبقى منه واعتمادا على ذلك الوعي سيستطيع استرجاع ما سلب منه" الوعي الاجتماعي عبارة عن مجموع الأفكار والنظريات والآراء والمشاعر الاجتماعية والعادات والتقاليد التي توجد لدى الناس والتي تعكس واقعهم الموضـــوعي " أحمد،١٩٨٥: ص١٨٠)

اســتطاع الحريزي من خلال الرواية تســليط الضــوء على الشــباب الواعي من خلال شــد انتباه المتلقي الى تلك الفئة من المجتمع والتي لم تتنازل عن مواقفها وان لم يكن باستطاعتها الاستمرار علنا لكنها في الوقت نفسه ثابتة راسخة نحو غد أفضل، وهذا يشكل (اليوتوبيا)التي يطمح اليها الشباب، وكل ما قاموا به من تضحيات لم تكن الا للحصول على مطالبهم المشروعة فهو (شعب يوتوبي) يريد الأفضل ويحلم بالغد الذي لا تستباح فيه حرياتهم.

١-**الصراع من أجل البقاء**/على الرغم من كل المحاولات التي حاولتها السلطة الدستوبية في كبح الانتفاضة التشرينية وكبح الشباب وجرأتهم وروحهم الفتية ،الا ان المحاولات باءت بالفشل ، وان اســتطاعت في النهية انهاء التظاهرات فلي الســاحات الا أنها في الواقع لم تحرك شــعرة من روح الشــباب الذين هم على اســتعداد دائم للتضــحية بنفوســهم في ســبيل العدالة والمســاواة التي كانوا يحلمون بها كما في (الحياة اليوتوبية)الموجودة في أذهانهم ، أرادوا أن يحققوا أحلامهم وحاولوا تحويل الحلم الى حقيقة ، وقد صـــورت الرواية تلك الر وح الصـــامدة التي لا تهزها ريح عبر شــخصــياتها المتنوعة أمثال (زيوني) ذلك الشــاب البهي الطلة الذي كان يتابع الشــهداء ويبكيهم ويلطم على رأسه الا انه وعلى الرغم من كل ما كمان يراه ، كان مواظبا على التواجد في ساحات الاعتصــام ، وبالرغم من كل محاولات الســلطة الدســتوبية في اســتخدام كل حيلها الدســتوبية من القمع والظلم والاضطهاد ، الا أن يوتوبيا الشعب والشباب كانت أقوى ، فها هي المرأة في ساحات الاعتصــام لا تقل شــأنا عن الرجل ، فكان لها دور بارز في أدامة الحياة في الســاحة من خلال المشاركة في الاعتصامات ومساعدة الشباب في اعداد الطعام وتنظيف الخيم واستطاع الحريزي

تصوير المرأة ومشاركاتها من خلال الشخصيات التي يختارها لها " أول مرة تشترك النساء في مثل هكذا فعاليات شعبية وبصورة واسعة ، وكن يقمن بتنظيف الساحة بالاشتراك مع شباب الساحة واعداد الطعام للمنتفضين والمشاركة في كل الفعاليات الاخرى المقامة في الساحة والمخيمات "(البركان: ص٣٤) الا أن نفس هؤلاء النساء يصبحن عند الحاجة نساء يحملن السلاح ويساعدن اخوانهن في الدفاع عن أرضهم وحقوقهم ، ولم تكن بمنأى عن عمليات العنف التي مارستها السلطة بل على العكس تماما ، فكان لها النصيب الأكبر ذلك لأن السلطة الدستوبية كانت تقوم بفرض قوانينها على الأضعف، وبنظرها كانت المرأة كائن ضعيف يسهل السيطرة عيه وعلى فكره الا أنها أثبتت بأنها مستعدة دائما للدفاع عن نفسها واخوانها.

٢-**التمسك بمعايير الأمل** / لم يكن من السهل على شعب عاش كل سبل الحرمان والتي اصبحت جزءا من حياته وروتينه اليومي، وان يكون بنفس الوقت متمسكا بالأمل، لكن سؤالنا هنا هو، هل يعيش الانسان بلا امل؟ هل الظروف القاسية كفيلة بأن يفقد الانسان الأمل؟ ان كانت الاجابة نعم ، اذن هل يستطيع اكمال حياته دون أمل ، وهنا تكمن الاجابة ، اذ ان الانسان مرغم على عيش هذه الحياة رغما عنه وعن ارادته ، بغض النظر عن كيفية عيش هذه الحياة، المهم انه عليك الابقاء ، احيانا يحتاج الى بصيص امل يتمسك به ، واحيانا هو من يسعى لإيجاد ذلك الأمل، الا أن احساس عدم الانتماء الذي كان سائدا في نفوس بعض افراد المجتمع العراقي كان كفيلا بان يشعر هذا الفرد بالضعف نتيجة غربته الداخلية التي يشعر بها ، فليس شرطا أن تكون الغربة مكانية، احيانا تكون الغربة داخلية وهي الأصعب ، ان يشعر الفرد بالغربة وهو بين اهله ووطنه (لان الفرد المغترب هو الذي يشعر بالضعف والعجز ازاء المواقف المصيرية في حياته ، والذي يشعر بان القيم السائدة غير ذات معنى بالنسبة له ، او هو الغريب عن جماعته الاجتماعية وتنظيمات الحياة) الخولي ،١٩٩٩:ص١٨٨).

الا ان الحريزي وضح الأمل الذي تمسك به الشباب من خلال حلمهم بانقضاء فترة الظلم والبطش والوصول الى العالم اليوتوبي الذي كانوا يحلمون به دائما ، فعندما يصل النسان الى مرحلة لا رجوع فيها يكون مستعدا لخوض أي مجازفة واي تضحية حتى وان كان ثمنها حياته مثلما وجدناه في الرواية من خلال شخصياتها والتي استطعنا من خلالها استنباط الأمل وذلك من خلال تقنيات حديثة وخلاقة من أبرزها ، طريقته في استخدام واختيار اسماء الأبطال في الرواية ، فلم يأت أي اسم فيها تلقائيا ، بل كان عن دراية وخبرة وهدف واضح أمام الكاتب وهو بعث الحياة في نفوس الشباب بعدما مارست السلطة الدستوبية عملياتها في ساحات الاعتصام للتخلص منها

، ومن تلك الأسماء اختياره لأسم (شفاء) كبطلة من أبطال الر واية فهو اسم رقيق تشعر بالارتياح لمجرد لفظه ، وكأن له رسالة يريد ارسالها للمتلقي وهو القارئ مفادها : أصبروا فان هناك شفاء لجراحكم يوما ما ، وقد منح الشخصية الصفات الخارجية والداخلية الجميلة والتي ساعدت في ترسيخ اسمها ومعناه في نفوس المتلقي " من خلال زيارتي للساحة بين فترة وأخرى ، ومن خلال الشابة (شفاء) الفرعة الطول ذات العينين الشهلاوين التي تشع نباهة وذكاء وحماسة...كانت مواظبة على الحضور في الساحة وهي محللة فنية حديثة التخرج"(البركان: ص٢٣)

كان هناك تواصل لا يوصف بين شباب ساحات الاعتصام فيما بينهم وأيضا بين الشباب الاخرين الذين لم تسمح لهم الفرصة في التواجد الدائمي في الساحات، وكان هذا بمثابة دعم كبير وعامل رئيسي في استمرارية التظاهرات وادامتها، فاليوم القوة والقرار الأخير هو للجيل الجديد الواعي الذي يؤمن بالمبادي الديمقراطية للفرد والمجتمع ، والعلاقات الاجتماعية والتواصل بين هؤلاء الشباب الواعين عزز فكرة الوصول الى مجتمع يوتوبي ينهي السلطة الدستوبية التي سعت دائما لتظليل المجتمع وشبابه ، بعض العلاقات تطورت لتصل الى تكوين حياة جديدة بين شابين لتأسيس عائلة مثالية في مجتمع مثالي ، مثلما حصل بين (شفاء) و (يوسف) والذين تعاهدا على الإخلاص لبعضهما ولوطنهما الى اخر يوم في حياتهم ،" انظر حولك وفي كل مكان ، فسوف تجد اشخاصا عاديين يمارسون حياتهم بمختلف أوجه النشاط ، وهذه القدرة على الدخول في صلات متبادلة من خلال تلك الانشطة ، هي التي تجعل العالم الاجتماعي ممكنا ، وعليك كعالم اجتماع أن تأخذ هذه الأفعال الملموسة والمألوفة لدى الجميع ، وأن تفحصها لكي يتبين لك كيف تقع ولماذا ؟" (محمد علي محمد، ١٩٨٣: ص٢١٤)

٣-الايمان بالغد المختلف / يقول أبو القاسم الشابي:

فلا بد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر (الشابي،٢٠٠٥: ص٧٠)

هكذا قال الشاعر عندما صور الارادة القوية والجامحة لاستمرار الحياة، وكيف أن من يريد الحياة ويريد العيش فيها عليه ان يصبر ويكافح ويتحمل الكثير الكثير لكي يستطيع البقاء، الشباب اليوم حاولوا وكرسوا جهودهم محاولين التغيير، تغيير السلطة وانهاء الظلم والاضطهاد، واعادة الحقوق لأصحابها، الا أنهم في ثورة تشرين أجبروا على اخلاء خيمهم وانهاء اعتصاماتهم، ولكن هل هذا ما كانت تريده السلطة الدستوبية، هل ربحت بهذه الأفعال المعركة؟ هل أصبحت ساحات الاعتصام ذكرى مؤلمة يتمنى الشباب عدم تكرارها وعدم تذكرها؟ أم أنها أصبحت اليوم رمزا

للتضحية والفداء في سبيل الحق والعدل والمساواة؟ أصبحت ساحات الاعتصام اليوم من أسمى رموز صـــراع الشـــباب من أجل البقاء، لكن أي بقاء، البقاء بحرية وكرامة وليس البقاء كالعبيد المنســاقين خلف مالكيهم ، فالســلطة الدســتوبية كانت لا تعي مدى وعي المجتمع الذي تتعامل معه، وان كان هذا دليل انما هو دليل على مدى سـذاجة السـلطة وعدم تطورها ، وان السـياسـة التي تتبناها تنتمي الى سياسات القبائل القديمة التي تبعد كل البعد عن السياسات العصرية اليوم، حتى في السياسات القديمة كان الفرد ينظر الى السلطة على انها رمز للظلم والاستغلال وهذا ما هو موجود بالفعل عند الســلطات الدســتوبية (ان القبائل على الرغم من ميلها الى الخضـــوع للحكومة والانصـــياع لأوامرها ، لا تزال تحمل نحوها بعض بقايا العداء والضـــغينة القديمة ، فالقبائل لم تتعود على اعتبار الحكومة رمز الاستقرار والخير للبلاد ، فهي لا تزال تعتبر الحكومة رمزا للضريبة والسوط والسجن والقهر والتسخير) (الوردي ،١٩٩٦:ص١٧٦)

اليوم كل ركن في ســاحات الاعتصــام ينم عن قصــة وكل شــخص تواجد فيها يحمل في ذاكرته رائحة الشجاعة والتضحية ، يحمل معه ألم الفقدان ولذة التضحية ، فالساحات كان من شأنها ان تجمع بين النقائض ، النقائض في شــخصــيات الشــباب والنقائض في الاحاســيس ، فبين كل ابتسامة وضحكة كان هناك فقدان وشهادة ، لشاب او لشابة من الشباب الذين حملوا معهم كل رموز الوفاء، واســتطاع الحريزي ان يعرض وينقل ذلك الاختلاف في المشــاعر من خلال روايته والشـــخصـــيات الموجودة والتي اختارها لتمثل ذلك الاحســـاس الذي من الصـــعب نقله، الا انه اســتطاع ايصــال تلك المشــاعر بحلوها ومرها فها هو يصــور (شــفاء ويوســف) بعد زواجهما وقرارهما بتزيين قاعة الزفاف بصـور رفاقهم الشـهداء وشـعارات الثورة(ينظر ، البركان، ص٦٥) وها هم شباب الساحة يرفضون ان يحملوا خيمهنم وأغراضهم الى منازلهم بعد اجبارهم على انهاء تظاهراتهم في ســاحات الاعتصــام ، املا منهم بأن اخذ اغراضــهم الى منازلهم يعني الفشــل وهم يرفضــون ذلك " لم يجرؤ أي منا على نقل أي شــيء من خيمتنا الى بيته ، لأن خيمتنا هي بيتنا وأنفاســنا وأنفاس من تبرعوا بها من أجل ديمومة الاعتصــامات، فلا نقبل امتلاكها، بل هي ملك الساحة ولا يمكن أعن تدخل بيوتنا ...لأننا لا نريد أن نقطع الأمل في جولة جديدة قادمة لإسقاط الفساد والفاسدين، فنحن بذلنا أرواحنا ودمائنا وممتلكاتنا فداء للثورة وأهدافها " (البر كان: ص٦٣)

الخاتمة

في ختام بحثنا المتواضــع وبعد قراءة الرواية وحيثياتها وتحليل بصــمات الدســتوبيا واليوتوبيا فيها توصلنا الى مجموعة من الاستنتاجات يمكننا اجمالها بما يلي:

١-الرواية وان تميزت بقلة عدد صفحاتها الا انها تركت أثرا واضحا في النفس وذلك من خلال توضيح الصورة المبهمة عند البعض حول الانتفاضة الكبيرة التي شملت بعض محافظات العراق والتي قام بها مجموعة من الشباب الواعين ضد السلطة القمعية الحاكمة.

٢-توضيح الدور الكبير للشباب وامكانيتهم في التغيير ومحاولاتهم في غرس الروح الوطنية وحب الارض والوطن في نفوس بقية الشباب الذين لم يشاركوا في الانتفاضة، وذلك من خلال تضحية هؤلاء الشباب بأرواحهم في سبيل وطنهم وان لا شيء يضاهي معزة الوطن لديهم.

٣-الرواية توضح الدستوبيا التي يراها الشعب في كيفية ممارسة السلطة الحاكمة للقوانين التعسفية وسلب الحقوق واضطهاد الأفراد واشاعة الفتن والاضطرابات الاجتماعية في المجتمع ذلك فقط في سبيل تمويه الشعب واحالته عن طريق الوعي والصواب لكي لا يتفكر في كمية الاضطهادات التي تمارس حياله.

٤-مع بيان الرواية لجوانب الدستوبيا توضح من جانب اخر وعي الشعب والفرد العراقي وقدرته على المطالبة بحقوقه بالرغم من سياسات الترهيب التي كانت تمارسها السلطة ضده، فهو فرد يطالب بعالم مثالي يتوفر فيه أبسط مقومات العيش وابسط الاحتياجات اليومية له.

٥-اليوتوبيا التي يطمح اليها العراقي توافق اليوتوبيا بمعناها المطروق كعالم مثالي يعيش فيها الانسان بحرية ويمكنه العيش كما يشاء وان يفعل ما يشاء لكنها تخالفه في أنه لا يحلم بالمستحيل ولا يحلم بذلك العالم الذي يفعل فيه ما يشاء ويتوفر فيه ما يحلم به، بل يوتوبياه أبسط بكثير من ذلك، فهو يحلم بالحرية والكرامة، يحلم بالوطن المسروق والحقوق المسلوبة، يحلم بالغد كيف سيكون ويحلم باليوم كيف سيستطيع العيش بسلام، فاليوتوبيا هنا اقتصرت على العيش بكرامة في وطن لا يحق للفرد ان يعيش فيه بسلام.

٦-خلال هذا البحث يمكننا القول بأن للأدب قوة في التأثير في نفوس الأفراد ويمكن استخدامه كقوة ناعمة تحفز الوعي الجمعي لدى الأفراد وضرورة التأكيد على القيم والمبادئ التي تربى عليها المجتمع العراقي وضرورة المحافظة على الكرامة التي لا يمكن التفريط بها عند العرب.

٧-الدور الكبير الذي كان واضحا لفئة المثقفين من الشباب والذين كان لهم تأثير كبير في نفوس الشباب غير المشاركين في الانتفاضة، من خلال بث الوعي وعرض صورة ايجابية لهؤلاء الشباب ودحض الصورة السلبية التي حاولت السلطة زرعها في نفوس الافراد ورد الاتهامات الموجهة الى هؤلاء الشباب حول مصداقيتهم وسمعتهم وتضحيتهم الجديرة بالذكر.

المصادر والمراجع

١-أحمد، سمير نعيم. النظرية في علم الاجتماع (دراسة نقدية) ط٥. القاهرة: دارالمعارف،١٩٨٥
٢-البستاني، صبحي، يوتوبيا والدستوبيا وتخطي الحدود الزمنية في الرواية العربية الحديثة،روايتا يوتوبيا لأحمد خالد توفيق وعطارد لمحمود ربيع ،أنموذجا ،مجلة دراسات في السردانية العربية ،المجلد الثاني ،العدد الرابع ،٢٠٢١،كلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة الخوارزميوالجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وادابها
٣- توفيق ،أحمد خالد ،يوتوبيا،مؤسسة قطر ،٢٠٢٢
٤-توماس مور،يوتوبيا ،ترجمة انجيل بطرس سمعان ،المقدمة ط٢،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٧
٥-الحريزي، حميد، البركان،دار رؤى للنشر،كركوك،٢٠٢٤
٦-حجازي،احمد مجدي .علم اجتماع الازمة:رؤية نقدية للنظرية السوسيولوجية.القاهرة :دار قباء،١٩٩٨
٧ – الخولي، سنا ،مدخل الى علم الاجتماع ،جامعة الاسكندرية، دار المعرفة ، مصر ، ١٩٩٩
٨- الشابي، ابو القاسم ، الديوان، قدم له وشرحه،أحمد حسن نسج،منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العالمية،بيروت/لبنان،٢٠٠٥ ،الطبعة الرابعة
٩- عبدالله، أمير محمد ، النظرية السوسيولوجية بين المشهد والموقف ، منشأة المعارف / الاسكندرية ٢٠٠٥
١٠- العشري، سلمى أبو شتا ،حول مفهوم اليوتوبيا والدستوبيا ،كمدن للاستلهام في فن التصوير المعاصر،مجلة بحوث في التربية والفنون ،المجلد ٢١،العدد١،جامعة حلوان،مصر،٢٠٢٠
١١- الفيومي ،محمد ابراهيم، ابن باجة وفلسفة الاغتراب، ط١ ، دار الجيل ،بيروت ، ١٩٩٨م
١٢-فوكو،ميشيل،نظام الخطاب،ترجمة:محمد سبيلا،دار التنوير للطباعة والنشر ،بيروت،١٩٨٤
١٣- الفارابي ،أبو نصر ، اراء أهل المدينة الفاضلة ،مؤسسة هنداوي،٢٠١٧
١٤-ماجدولين:شرف الدين،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،المغرب ،٢٠٠١،
١٥- المنياوي،أحمد، جمهورية افلاطون،دار الكتاب العربي(دمشق-القاهرة)٢٠١٠
١٦- محمد ، محمد علي ، قراءة معاصرة لأعمال خمسة من اعلام علم الاجتماع الغربي،دار النهضة العربية / بيروت،١٩٨٣
١٧- الوردي، علي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي انتشارات المكتبة الحيدرية / قم ١٩٩٦